فعاد الرجل من الإدارة خائبًا وذهب إلى الخياط وقص عليه خبره، فأصلح لهُ زر قميصه وهو يقول فلنحمد الله الذى وصلنا إلى زمن نرى به النساء يسابقن الرجال فى المعارف والآداب لا بالتيه وفخفخة الثياب.

خطرات بال

«بقلم حضرة الكاتبة الفاضلة الآنسة مريم خالد المصونة وكيلتنا»

«فى دير القمر وجبل لبنان»

لا تقعدنْ عن الأشغالِ والعمــــلِ　　　واركب متن العلى لا تخشى من زللِ
أجهد قوى العقل وارفع قدر صاحبه　　　لا تكسلن فموت العلم بالكســـلِ
واحدِ المطايا لبيت العلم مســـرعة　　　واطوِ الفيافى فخير البر بالعجـــلِ
قف فى معالم أطلال العلوم وقـــل　　　من بعد بسملة حييت من طـــللِ
وارفع ستار الخفا وانظر بجنتــــه　　　انهارها قد جرت بالشهدِ والعســلِ
ونـــاده مجهوًا بالحمـــدِ مبتدئًا　　　لله درُّك كـــــم رقيت من رجــلِ
فالعالم كالكنز لا يحظو به رجـــل　　　إن لم يكــن تردّى حلة البـــطلِ
خفية حار عقلى فى تسترهــــــا　　　حتى عمدتُ إلى التدبير والحـــيلِ
بالدرس تفتحُ أبوابٌ مقفلــــــة　　　ويرتقى للعلى فى أسهل الســـبلِ

اسمحوا لى سادتي أن آتيكم ببعض أفكار علمتها بالاختبار ربما تؤول للفائدة غير خافٍ عليكم أن العالم ليس إلاَّ مدرسة سنَّت قوانينها وتنظمت شرائعها مناسبة لأحوال الإنسان فى كل زمان، فهو مطالب بحفظها مسئول حين مخالفتها لا يستطيع التلمص من تحت نيرها ما زال حيًا، وهى تشتغل دائمًا فى تغييره إلى أحسن ما يرام. بيد أن الإنسان لا يشعر بها ولا يستحسن بنفعها. فإن حفظها ورعاها نال رفعةً وعزًا

وإن أهملها وسنّ لنفسه سواها أهمل شأنه وحط قدرهُ، فالمطالعة بعد الخروج من المدرسة أمر ضرورى ليحفظ ما تعلمه بمأمن من النسيان الذى هو آفة العلم ومصيبته فإن حياة العلم بالذاكرة وأمانته بالإهمال، هذا وإن كثيرين من الذين كانوا يسيرون بموجبه تركوا الدرس جانبًا مذ خرجوا من المدرسة ونبذوا المطالعة ظهريًا حتى وصلوا إلى درجة نسوا فيها ما تعلموا وأصبحوا لا يستطيعون شيئًا منه يوم ولم يفطنوا لقول من قال:

إنما العقل مثلما السيف يصدى حدّه ساكنًا بلا أعمالِ

فعليه أقول إن من أكبر الغلطات التى يمكن ارتكابها فى حق التقدم إهمال القوى العقلية بعد أن قد اعتادت الدرس والمطالعة.

ولا جهل أعظم من جهل امرئ يمر فى قواهُ العقلية فى مدرسة، ويبذل كل جهدهُ فى الدرس والمطالعة حتى إذا ما خرج تركها ظنًا منه وبعض الظن إثم إنه قد استوعب العلم، ولم يعد لهُ حاجة إلى الدرس إذ أنه لا يلبث قليلاً بعد ذلك حتى ينسج عناكب النسيان على قواه العقلية نسيجًا يغطى كل ما عرفهُ من الأمور التى هى دون القليل فيصبح جاهلاً مدعيًا، ويعتاد أن لا يهتم بالمعارف والاكتراث بالدرس فيبتدئ يزدرى بكل من كان يسعى لهذه الغاية ويهزء بالكاتب أو الكاتبة ذلك لما حل بهِ الكسل وتسدّوا عليه من الخمول بما آل إلى سقوط قواه العقلية، فيصبح منحط القدر خامل الذكر لا يلتفت إليهِ ولا يؤسف عليه.

ولا أشك أن للظروف حقًا كبيراً فى ترقية القوى العقلية وتهذيبها، ولكن مهما كانت هذه القوى ضعيفة فى الإنسان ومهما كانت ظروفه معاكسة لترقيتها فإهمالها إهمالاً كليًا إنما هى تعدّ على الناموس وخطية جزاؤها التقهقر والانحطاط إذ بإهمال تلك القوى يخطئُ المرء ضد نفسهِ وبالنتيجة ضد بلادهِ.

والخلاصة أن ليس لامرئٍ حق أن يهمل هذه القوى ويتراخى فى تهذيبه الشخصى ملكًا كان أو فلاحًا، وافقتهُ الظروف أو عاكستهُ فإن ساعة من الدرس والكتابة كل يوم ليست طويلة تعود على أى كان بنتائج حسنة وفوائد عظيمة.

يخرج التلميذ أو التلميذة من المدرسة بعد أن ينال شهادتها، وهو يزعم أن صدرهُ وعى علوم الأولين ومعارف المتأخرين، فيتيه عجبًا ويهزُّ طربًا كلما رنَّ صوت المعارف فى محافل البلاد ظنًا أنهُ من الطبقة الأولى، وإن الأوليات تخدمهُ والحقائق تتدفق من فيهِ ولكنهُ لا يطول أمرهُ كثيراً حتى يهبط من سماء تخيلاتهِ، فيضحك على ما فى خطئه ويستخف بقديم تصوراته، وذلك حين تأبى الأيام إلاَّ أن تظهر حقيقة أحوالهِ وتبين كاذب آلهِ وذلك بما تبين بهِ بضاعتهُ ساعة يتوق بها إلى المراكز العالية ومهام الأمور وعندئذٍ يتذكر تلك الحديقة الغنَّاء التى طالما تمنى أن يقطف منها بما يشوق العين ويسرّ الخاطر فيحقق أنها مغنى الطلاب ومرجاهم، بيد أنهُ إذ ذاك كان يذوق الأثمار فقط فلا يشبع ويرد مورداً عذبًا ماؤه فيصدر عنهُ، وفى النفس أشياء ولا يرى ما وراء الحجاب من حلاوة المشهد والشهد المستطاب إلاَّ حين يدخل المدرسة الثانية ويثقف العقل ويقوى الذهن ويحسن الذوق بالمطالعة التى هى كمفتاح مخادع العلم المستترة حيث يتمثل لديهِ ظروف الأجيال القديمة وأحوالها، ويطلع على حروبها ومشاهيرها، ويحادثهم فى الوقت الحاضر.

ويقصد الناس بالمطالعة أموراً ثلاثة إما التسلية أو الزينة أو القدرة العقلية ففائدة الأولى التسلية فى أن الوحدة والعزلة والثانية المقدرة على المخالطة والمحادثة والثالثة الاقتدار على الأعمال، وهى الأهم لأن القوى الطبيعية تشبه النباتات التى تحتاج إلى المواد المغذية لقيام حياتها. وللدروس بحدّ ذاتها ضوابط وسنن محدودة تدرك بالاختبار. وليس المطالعة للمناقضة أو للدحض أو للتصدق أو للهبة ولا لإيجاد مجادلة أو مخاطبة بل للمقابلة والتبصر إذ الكتب متنوعة، فالبعض منها لتذاق والبعض

لتبلع والبعض لتمضغ وتهضم أى أن بعض الكتب يجب أن تقرأ منتخبات منها والبعض تقرأ بتمامها ولكن ليس بتمعن والبعض بتمعن للغاية. فالقراءة تجعل الإنسان كاملاً والمحادثة مستعداً والكتابة مدققًا، ولذلك ترى أن أقلَّ من الكتابة كان ذا ذاكرة قوية ومن تحادث قليلاً كان ذا فكاهة فى الحديث، فالتاريخ يجعل الإنسان حكيمًا والمرء حاد الذهن سريع الجواب والرياضيات تمكنه من الحيل والمنطق والبيان يصيرانه قادرًا علي المحاجة.

فمن ثم لا يوجد مانع أو عثرة فى سبيل المعارف بل إن تحليلها سهل بالدروس المناسبة وفعلها بالعقل وإنما هو بمثابة فعل التمادى بالجسد، فالتصعيد فى الجبال مقوٍّ للرئتين والصدر والمشى اللطيف نافع للمعدة وركوب الخيل لسائر العضلات ونموه. وهكذا إذا كانت بصيرة الإنسان أو قوة إدراكه تهمهُ، فليدرس الرياضيات وإذا كان قليل التمييز ولا يفرق بين الأمور فليلاحظ محاجة المناطقة، وإذا كان غير قادر أن يصيب الأمور ولا يقدر أن يبرهن مسألة ويمثل أخرى فليدرس الفقه، وهكذا فإن لكل خلل أو ضعف فى العقل دواءَ شافيًا فعَّالاً.

هذا وإن الدرس يُقدّر المرء فى المجاهدة ضدَّ المتاعب والمصاعب وبقيت عقلهُ بهذا الطعام ويعمل الفكرة بجمع أطايب الأقوال تغذية للعقول وتطييبًا للنفوس. فهلَّم أيتها السيدات الفاضلات لنشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، وننهض همتنا وهمة جميع بنات جنسنا على اكتساب المعارف وترقية شأن العلم بهذه الوسائل لاسيما بمواصلة جريدة الفتاة جريدتنا الوحيدة الآن وعسى أن لا تبقى وحيدة لطول....

أخيرًا نرى أن للإنسان مدارس متعددة غير التى فيها مبادئ العلوم، ونرى كذلك أنهُ بعد خروجه منها يحصل أضعاف ما حصلهُ فيها، وبذلك يتقدم فى المعرفة والفهم ويرتفع إلى درجات التى تودّ البلاد أن تراهُ فيها حتى إذا ما رمقهُ الذين لم تساعدهم الأحوال، ورأوا ما هم عليهِ من التقصير عنهُ هبَّت فيهم نخوة الاجتهاد، فيأخذونه

بالدرس والبحث والتقرُّب من المتعلمين ويقتدون بهم ويحققون عندئذٍ أن العقل لا يتم نموه إلاَّ بتبادل الأفكار. هذا وإننا نرى أن كثيرين من الذين لم يتسنَّ لهم الوصول إلى المدارس الكلية قادرون أن يعملوا أعمالاً تعجز عنها كبار الناس، وأنهم بجهدهم أصبحوا من الأفراد العظام الذين يعقد عليهم الخناصر ويشار إليهم بالبنان وفازوا بقصب السبق فى البلاد عقلاً ومعرفة مما يؤكد أن المدرسة ليست المكان الوحيد حيث يتمكن العقل من إدراك صعاب المسائل وحلّ مشكلات الأمور كاشفًا عن مبهماتها ومنقبًا عن دقائقها وقد يمكن للإنسان أن يكون فى المدرسة يوميًا إذا شاءَ ذلك ويدخل في عرف المدرسة هنا البيت والحقل والشارع والسوق، وكل مكان وجد الإنسان فيهِ فكل هذه إنما هي مدرسة ترقى الرجال والنساء وتوجد فيهم حب الدرس والبحث والتكلم والعمل وتعلمهم أن يفعلوا ذلك لغاية شريفة تجعلهم في مقام رفيع، ويشار إليهم بالبنان ويحدث عنهم في كل مكان.

فعلى كل أن يقول أنني أفيد وأستفيد بمخالطتي الجميع أسعى في سبيل تفعهم ورقيهم إلى درجة أنا فيها إذا كانوا دوني وأشترك معهم إذا كانوا في منزلتي، واستفيد منهم إذا كانوا أرقى حالاً مني. وطالب الحقيقة لا يستحي أن يأخذها من أي كان وعلى كلٍّ فإن الله وهبني عقلاً وفضلني على سائر المخلوقات، فعليَّ أن أثقفهُ وأرقيه قدر طاقتي في كل يوم وفي كل فرصة وأكون في كل ذلك على حدّ قول الشاعر:

إذا فاتني يومٌ ولم أنتفع بهِ ... ولم استفد علمًا فما ذاك من عمري

اقتراح

لحضرة وكيلتنا الكاتبة الفاضلة السيدة زينب فواز بمصر

(الرجل أشد تعبًا فى هذه الحياة أم المرأة)